اقطاب اليهود والوطن القومي

اذا استثنينا الامة الصينية فليس بين امم العالم الآن امة تستطيع ان ترجع في تاريخها الى اقدم من تاريخ الامة القبطية والامة اليهودية . اما الاقباط فالذين احتفظوا منهم باسمهم وكيانهم كامة لا يزالون كلهم في الوطن الذي كان فيه اسلافهم منذ ستة آلاف سنة . واما اليهود فقد تفرقوا في اقطار المسكونة منذ اكثر من الفي سنة ولا يزالون متفرقين ولم يبقَ منهم في وطنهم الاصلي اكثر مما نجد منهم في عاصمة كبيرة من عواصم اوربا واميركا . وقد عنو في كل بلاد دخلوها بالاشغال العقلية والادبية والمالية . فمنهم جمهور من كبار العلماء والفلاسفة والكتّاب واصحاب البنوك ورؤساء الشركات . وقد نزعوا حديثاً الى السياسة فكان منهم لورد بيكنسفيلد الذي كان من اكبر وزراء انكلترا واكتب كتّابها واخطب خطبائها . وفي الحكومة الانكليزية الآن ثلاثة من اقطابهم المستر منتاغيو وزير الهند والسر هربرت صموئيل المعتمد السامي في فلسطين ولورد ردنج حاكم الهند

فالشريف ادورد صموئيل منتاغيو ابن لورد سوايثلنج ولد سنة ١٨٧٩ ودرس في جامعة كمبردج وعين سكرتيراً لوزير المالية ثم لرئيس الوزراء ثم وكيلاً لوزير الهند ثم وكيلاً لوزير المالية ثم وزيراً للذخيرة في زمن الحرب ثم وزيراً لوزارة الهند ولا يزال فيها

والشريف السر هربرت صموئيل درس في جامعة اكسفرد فكان من اول النابغين فيها ودخل البارلمنت وجعل وكيلاً لوزارة الداخلية ثم وزيراً للبوستة ثم وزيراً للداخلية واخيراً معتمداً سامياً لفلسطين

ولورد ردنج واسمهُ الاصلي برونُر دانيال ايزكس كان من اكبر المحامين في انكلترا ثم صار مدعياً عمومياً فوزيراً للحقانية . فسفيراً في اميركا والآن جعل حاكماً لبلاد الهند

ومن يقرأ تاريخ اليهود في اوربا في العصور المظلمة وفي الشرق من ايام السبي البابلي الى الآن لا يسعهُ الاّ ان يرى فيهم قوة عقلية فائقة ومرونة ادبية راسخة مكنتهم من البقاء هذه العصور الطوال والتغلب على ما لم يستطع شعب

آخر التغلب عليهِ . فالكنعانيون والحثيون والبابليون والاشوريون انقرضوا كلهم كأمم كبيرة ومن بقي من نسلهم لا يستطيع ان يثبت انتسابهُ اليهم لا ديناً ولا دنيا حتى اليونان والرومان تركوا اديانهم الاولى وتنصروا وامتزجوا بامم أُخرى. والاقباط تركوا اديانهم ايضاً وتنصروا كلهم ثم اعتنق اكثرهم الاسلام. واما اليهود فلا يزال نحو ثلثة عشر مليوناً منهم منفصلين عن غيرهم متمسكين بمميزات دينهم لكنهم متفرقون في كل الاقطار ومتجنسون بجنسيات الممالك التي استوطنوها فهل يحتمل ان يجتمعوا من اقطار المسكونة ويتركوا ما هم فيهِ من نعيم البلدان التي استوطنوها كفرنسا وانكلترا واميركا ومصر وينزحوا الى فلسطين ويتخذوها وطناً وهي لا تكاد تقوم بمعيشة سكانها الحاليين . او هل يحتمل ان يتركوا جنسياتهم والدول العظيمة التي تدافع عنهم ويصيروا من رعايا حكومة فلسطين . هذا كلهُ مما يتعذر علينا تصديقهُ

وسكان فلسطين الآن من اديان مختلفة واكثرهم من المسلمين فانهم ٥١٢٠٠٠ واليهود ٠٦٦٠٠٠ والنصارى ٠٦٢٠٠٠ والسمرة ١٧٥ نفس

وفيها من الغرباء نحو ٢٠٠٠٠ فعدد كل سكانها نحو ٦٦٠ الفاً على ما جاء في كتاب « فلسطين وتجديد حياتها » .وقد يحتمل ان يزيد عدد السكان حتى يبلغ مليون-نفس او مليوناً ونصف مليون وتكون الزيادة كلها من اليهود وتبقى البلاد قادرة على القيام بهم اي يزيد عدد اليهود فيها حتى يبلغ نحو ٩٠٠ الف نفس لا غير لانهُ لا يحتمل ان يُضغط على السكان الاصليين حتى يهجروا بلادهم . وغاية ما نرى احتمالهُ ان خيرات البلاد الطبيعية تُستثمَر فيزيد عدد سكانها الى هذا الحد وتكون فلسطين واورشليم للامة اليهودية مثل الحجاز ومكة للمسلمين ومثل ايطاليا وروميه للكاثوليك . ويكون هذا اعتبارها ايضاً لدى المسيحيين والمسلمين لان لها ارتباطاً دينياً بهم يقرب من ارتباطها الديني بالامة اليهودية فيخصها الجميع بالزيارة ويزيد تردده عليها . ولطيب هوائها وعلاقتها الدينية الشديدة باليهود يرجح ان بعض اغنيائهم واهل التقى منهم يبنون لهم منازل فيها يسكنونها في أُخريات ايامهم حتى يدفنوا في ترابها .كل هذا محتمل اومرجح أمّا أن تعود مملكة لاسرائيل ويهوذا كما كانت في عهد داود وسليمان ويعود اليها جميع اليهود المنتشرين في اقطار المسكونة فليس في احوال الامم الحاضرة ما يرجحهُ او يجعلهُ محتملاً

ثم ان احوال الشرق الادنى السياسية لم يقر القرار عليها نهائياً على ما يظهر فقد يحتمل ان يتغير كثير مما تم الاتفاق عليهِ بين فرنسا وانكلترا حتى الآن . وسواء تغير او بقي على ما هو عليهِ فلا يعقل ان اقطاب اليهود في اوربا واميركا يحاولون نقض نواميس العمران وجمع اليهود من اقطار المسكونة الى ارض لا تسع مليونين من النفوس . ولكن المرجح انهم يبذلون مجهودهم في تصيير تلك البلاد المحبوبة مقدسة عند اصحاب الديانات الثلاث الكبرى المسيحية والاسلامية واليهودية فيشمل نفع عملهم سكانها كلهم

قيمة النتائج السلبية

قد يكون للنتائج السلبية في البحث العلمي فوائد لا تقلُّ عن فوائد النتائج الايجابية بخلاف المشهور في اعمالنا العادية . فانهُ اذا طلب زيد شيئاً ولم يجدهُ قلنا انهُ فشل واخفق واذا وجدهُ قلنا انهُ فاز ونجح . وربما ذهبنا الى ابعد من ذلك فمدحنا الفائز وذممنا المخفق على حدّ قول الحطيئة

والناس مَنْ يلقَ خيراً قائلون لهُ ما يشتهي ولأُمّ المخفق الهبلُ

اما في البحث العلميّ فالامر ليس كذلك . نعم ان الباحث في العلم يقدّم النتائج الايجابية على السلبية ويقدم على معالجة المسائل التي يرجح فوزهُ فيها ويحجم عن معالجة التي يقدّر فيها فشلهُ ولكن فكرة عدم المحاباة في المباحث العلمية تجول في صدر كل عالم يطلب العلم لذاتهِ وتجعلهُ يقدم على معالجة كل مسئلة تعرض لهُ طلباً للحقيقة مهما تكن العثرات في سبيلهِ كثيرة وسواء كانت النتيجة مما يحبُّ او مما يكرهُ

وقد اجازت الطبيعة المنصفة جماعة العلماء على غيريتهم العلمية هذه بان جعلت قيمة النتائج السلبية احياناً مضاهية لقيمة النتائج الايجابية . فذهب اينشتين الذي هو حديث العلماء الآن انما هو نتيجة تجربة علمية جربها عالمان قبلهُ هما متشلسن ومورلي فاخفقا فيها فلما اقدم اينشتين ثانية عليها عرف كيف يسير في سبيل حلها بتوقي ما وقع فيهِ العالمان المذكوران من الهفوات ولزوم جادّة اخرى رآها اقرب الى غرضهِ فبلغ المحجة وفاز بالارب